دراسات الأدب المعاصر، السنة الرابعة، شتاء ١٣٩١، العدد السادس عشر، صص ٨٣-١٠٠

قضايا العراق السياسية فی مرآة شعر عدنان الصائغ

راحلة محمودی *

سيّد محمدرضا ابن‌الرسول **

الملخص

عدنان الصائغ (١٩٥٥م) من أخطر شعراء الحرب الذين أنجبهم جيل الثمانينات الشعری فی العراق. عاش الحرب بكلّ تفاصيلها فی جبهات الموت سنوات طويلة و كان يكرهها غاية الكراهية. له مجموعات شعرية و أكثر موضوعات شعره فی قضايا العراق السياسية و الإجتماعية، و يمثّل تطوراً عضوياً للقصيدة الحديثة فی العراق. هو يكتب قصيدة الحر و قصائد تراوح بين نظم قصيدة الحر و بين قصيدة النثر. نريد فی هذا البحث الذی يغلب عليه المنهج الوصفی- التحليلی أن ندرس المجاميع الشعرية للشاعر العراقی *عدنان الصائغ* دراسة فنبحث عن الآراء السياسية لهذا الشاعر، و نعرضها بعد استخراجها بعون الله.

الكلمات الدليلية: عدنان الصائغ، القضايا السياسية، العراق، الشعر العربی المعاصر.

* ماجستيرة فی اللغة العربية و آدابها، جامعة اصفهان. mahmoodi.1367@yahoo.com

** عضو هيئة التدريس فی فرع اللغة العربية و آدابها بجامعة اصفهان(أستاذ مساعد).

الكاتبة المسؤولة: راحلة محمودی

تاريخ الوصول: ٩١/١/١٥ تاريخ القبول: ٩١/٧/٢٠

مقدمة

ولد الشاعر *عدنان الصائغ* فی مدینة الکوفة فی العراق، عام ۱۹۵۵م(الروضان، ۲۰۰۵م: ۳۴۱) فی بیت صغیر قریباً من نهر الفرات، بدأ الکتابة منذ سن مبکّر و حصل علی شهادة الإعدادیة الزراعیة(الجبوری، ۲۰۰۳م: ۳۷۴). *فالصائغ* واحد من الشعراء العرب البارزین، و یکتب ما یسمی الآن بقصیدة النثر. له من الإصدارات الشعریة: «انتظرینی تحت نصب الحریة»، «أغنیات علی جسر الکوفة»، «العصافیر لا تحبّ الرصاص»، «سماء فی خُوذة»، «مرایا لشعرها الطویل»، «غیمة الصمغ»، «تحت سماء غریبة»، «تکوینات»، «نشید أوروک»، «قصیدة طویلة»، «تأبط منفی»، «اشتراطات النص الجدید»، «القراءة والتوماهوک»، «خرجتُ من الحرب سهواً»، «صراخ بحجم وطن»؛ صدر له «تلک السنوات المرّة و المنفی الأخیر» شهادتان فی الشعر و الحرب و المنفی، و أیضاً دراسات و مقالات باسم «اشتراطات النص» و «فی حدیقة النص». تُرجمت مختارات من أشعاره إلی لغات عدیدة و عمل فی بعض الصحف و المجلات العراقیة و العربیة فی الوطن و المنفی.

وصفته جریدة «بابل» التی کان یملکها *عدی صدام حسین* فی ۱۳ تشرین الأوّل عام ۱۹۹۶م بـ "المرتد" فی قائمة ضمّت عدداً من الکتّاب العراقیین. و وضعته صحیفة «الزوراء» فی ۲ آذار عام ۲۰۰۰م التی کان یشرف علیها أیضاً *عدی صدام حسین* علی رأس قائمة ضمت أسماء ۳۲ أدیباً وصفتهم بالکتاب المعاندین، الذین خرجوا فی التسعینات من الوطن و الذین یکتبون الآن فی الصحف المعادیة.

تعرض فی مهرجان المربد الثالث فی البصرة عام ۲۰۰۶م للتهدید بالقتل و قطع اللسان، من قبل أحد المیشیلیات الظلامیة المسلحة بتهمة التطاول علی المقدس إثر قراءته لـ«نصوص مشاکسة قلیلاً»(الصائغ، ۲۰۱۰م: ۷۷۶).

قد شغلت الآراء الاجتماعیة و السیاسیة للشعراء حیزاً واسعاً من الرسائل الجامعیة. غیر أنّنی لم أعثر حتی الیوم علی أی کتاب و لا رسالة تطرقت إلی الموضوع المذکور فی شاعرنا العراقی المعاصر *عدنان الصائغ*. غیر أنّه قد شهد عام ۲۰۰۶ فی کلیة التربیة بجامعة

بغداد، مناقشة أول رسالة ماجستير حول تجربة شاعر من جيل الثمانينات في العراق حملت عنوان «شعر عدنان الصائغ دراسة أسلوبية»، قدّمها الباحث و الشاعر *عارف الساعدی*، و حصل فيها على درجة الماجستير في الأدب الحديث بدرجة امتياز.

و أطروحة «قصيدة الصائغ إنسانية المغزى» من *خالد محمد المصری* نوقشت في جامعة اليرموک الأردنية بإشراف *الدکتور خليل الشيخ* و التی ترتكز بنيتها الأساسية على النقاط و الجزئيات.

أوضاع العراق السياسية في عصر الصائغ

إن أحداثا سياسية ضخمة مرت على العراق منذ عام ۱۹۵۸م نذكرها باختصار:

۱.ثورة تموز ۱۹۵۸م في العراق: و قد جرت في الرابع عشر من شهر تموز عام ۱۹۵۸م و هي سنة حرجة في تأريخ ما بعد الحرب العالمية الثانية(راي، ۲۰۰۳م: ۶۵)، ثورة عسكرية في العراق عاضدها الشعب العراقي. و قد قضت هذه الثورة على النظام الملكي الذي كان سائداً فيها عبر الأسرة الهاشمية و أعلنت الجمهورية(هلال، ۲۰۰۶م: ۴۶۶).

۲.حرب الخليج الأولى عام ۱۹۸۰- ۱۹۸۸م: هي الحرب التي دارت بين العراق و إيران بعد الثورة الإيرانية الإسلامية التي تزعمها *آية الله خميني*. و كانت بين عامي ۱۹۸۰-۱۹۸۸م(المصدر نفسه: ۴۸۱).

۳.حرب العراق ضدّ الكويت عام ۱۹۹۰م: في ۲ أغسطس ۱۹۹۰م قامت قوات النظام العراقي بعدوان مسلّح على دولة الكويت، و احتلّت أراضيها في مفاجأة هزّت ضمير العالم (مركز البحوث و الدراسات الكويتية، ۱۹۹۳م: ۹).

۴.حرب الخليج الثانية عام ۱۹۹۱م: و هي الحرب التي نشبت بين أميركا و العراق في مطلع العقد الأخير من القرن العشرين. في يوم السادس عشر من الشهر الأوّل لعام ۱۹۹۱م تقدّمت الطائرات الأميركية تقصف العراق قصفاً مركزاً(هلال، ۲۰۰۶م: ۴۸۹-۴۹۰).

۵.حرب الخليج الثالثة عام ۲۰۰۳م: أطلقت أميركا النار على العراق فی ۲۰ مارس عام ۲۰۰۳م رسمياً و هاجمت بغداد جوياً بصورة محدودة. ثم بدأت الحرب القوات العسكرية للولايات المتحدة و بريطانيا برياً من الجنوب حتی احتلوا بغداد و مدينة تكريت مسقط رأس *صدام* فی ۱۴ آوريل. و هكذا تنتهی الحرب العسكرية و أعلن *بوش* نصره علی *صدام حسين* فی ۱ مه(رينولد، ۱۳۸۹: ۱۳۱).

فی مثل هذه الظروف الخانقة كان هناک شعراء يهتمون كل الاهتمام بقضايا مجتمعهم؛ منهم شاعرنا العراقی *عدنان الصائغ* الذی لقد وعی أزمات مجتمعه وعی التجربة.

تشبثت به هذا الظروف فعزم علی أن يبلّغ رسالته بالشعر، و إذا نقرأ شعره فلا نجده إلّا و هو تطويع لحركة الحياة العراقية المعاصرة، و توظيفه لخدمة قضايا العصر السياسية و الاجتماعية فی العراق.

من هذه الأغراض التی تطرق إليها *عدنان الصائغ* هی الحرب، تراجيديا مستمرة التی قد ملأت كثيراً من صفحات تأريخ العراق، و التی يكرهها شاعرنا العراقی و السلام الذی ينتظره حتی تلده الحياة؛ و الديكتاتورية و رعب الاستبداد و الاحتلال الذی هو السبب الأساس للحروب.

الآراء السياسية هی القضايا التی تعمّ الحكومات و كيفية تعامل الحكومة بالرعايا و علی العكس؛ منها قضية فلسطين و الحرية السياسية و الديكتاتورية و ضياع الوطن و حكام العرب و الاستعمار و... .

۱.الحرب

إذا تصفحنا أشعار *الصائغ* لوجدنا نصوصاً كثيرة خصصها للحرب و تبعاتها فی حياة الشعب، و كثيراً ما يصرخ شاكياً يندّد بالحرب التی طالت و سرقت نصف عمره و أضرّت و

عاثت خراباً و غیّبت وجوهاً تحت الخنادق و صدحت أسماءً فی الأناشید فی قصیدة طویلة سمّاها بـ «الجنوب»:

ما هَكَذا...
یا مدِینَةُ
تَنْسِینَ عُمْرِی الَّذِی سَرَقَتْ نِصْفَهُ الْحَرْبُ
ما هَكَذا، یا مَدِینَةُ تَنْسِینَ أحْزَانَنَا
وَ الْوُجُوهَ الَّتِی غَیَّبَتْهَا الْخَنَادِقُ
ما هَكَذا یا مَدِینَةُ... نَحْنُ طَعَام الْمَعَارِكِ
كَمْ صَدَحَتْ
فِی الْأَنَاشِیدِ
أسْمَاؤُنَا

(الصائغ، ۲۰۰۴م: ۱۹۲ـ ۱۹۳)

هكذا صور الحرب فی وطنه، و هو یكره الحرب علی مقدار حبه للعصافیر و السلام و ینتظر السلم ذات صباح مندّی بعد أن زرعت الطفولات و الأمنیات، و كل شیء فی الحرب فیعبر عن السلام بقوله:

أیَّتُهَا الْحَرْبُ
یا رَحِمَ الْحَیَاةِ الْمُتَوَرِّمَ
زَرَعْنَا فِی أحْشَائِكَ كُلَّ شَیْءٍ:
طُفُولَاتِنَا، و أمْنِیَاتِنَا، و قَصَائِدَنَا، و مَخَاوِفَنَا، و أعْمَارَنَا الْقَلِقَةَ.
مِنْ أجْلِ أنْ تُنْجِبِی - ذَاتَ صَبَاحٍ مُنَدّی-
طِفْلَ السَّلَامِ الْقَادِم

(الصائغ، ۲۰۰۴م: ۳۰۶)

٢.الديكتاتورية

يقول *الكواكبی*: «استبداد الحكومات جعلت الإنسان أشقى ذوی الحياة»(نُقل فی الصائغ، ٢٠١٠م: ٢٠٥).

و لنقرأ فی قصيدة تراوح بين نظم قصيدة الحر و بين قصيدة النثر، و هو يكتب كما يتنفّس عن الرئيس المستبد و هو كل شیء فی وطنه دون أی إهتمام بالناس، و ليس شیء إلّا و هو ينتمی إليه حيث الوطن يبدأ منه و ينتهی إليه:

حَيْثُ الْوَطَنُ
يَبْدَأ مِنْ خِطَابِ الرَّئِيسِ
و يَنْتَهِی بِخِطَابِ الرَّئِيسِ
مُرُوراً بِشَوَارِعِ الرَّئِيسِ، و أغَانِی الرَّئِيسِ
و مَتاحِفِ الرَّئِيسِ، و مَكارِمِ الرَّئِيسِ
و أشْجَارِ الرَّئِيسِ، و مَعَامِلِ الرَّئِيسِ، و صُحُفِ الرَّئِيسِ
و إسْطَبْلِ الرَّئِيسِ، و غُيُومِ الرَّئِيسِ، و مُعَسْكَرَاتِ الرَّئِيسِ
و تَمَاثِيلِ الرَّئِيسِ، و أفْرَانِ الرَّئِيسِ، و أنْوَاطِ الرَّئِيسِ
و مَحْظِيَّاتِ الرَّئِيسِ، و مَدَارِسِ الرَّئِيسِ، و مَزَارِعِ الرَّئِيسِ
و طَقْسِ الرَّئِيسِ، و تَوْجِيهَاتِ الرَّئِيسِ
سَتُحَدِّقُ طَوِيلاً
فِی عَيْنَیَّ الْمُبْتَلَّتَيْنِ بِالْمَطَرِ و الْبُصَاقِ
و تَسْأَلُنِی مِنْ أیِّ بِلَادٍ أنَا

(الصائغ، ٢٠٠٤م: ٥٦)

۳.رعب الاستبداد و عدم الأمن

إنّ هول الاستبداد قد أحاط بالشاعر العراقی *عدنان الصائغ* و لا یدعه حتی فی المنفی، و یرجع السبب إلی ما مرّ علیه فی وطنه. یرید الشاعر فی قصیدته أن یتخلص من المخاوف و یدعو له و عیونه قد سمرت إلی بساطیل الشرطة خوفاً منهم و خوفاً أن یوقفه مخبر و هو نائم فی سریره:

کَیْفَ لِی
أنْ أتَخَلَّصَ مِنْ مَخَاوِفِی
رَبَّاهُ
و عُیُونِی مُسَمَّرَةٌ إلی بَسَاطِیلِ الشُّرْطَةِ
لَا إل السَّمَاءِ
و بِطَاقَتِی الشَّخْصِیَةُ مَعِی
و أنَا فِی سَرِیرِ النَّوْمِ
خَشْیَة أنْ یُوقِفَنِی مُخْبِرٌ فِی الْأحْلَامِ

(المصدر نفسه: ۶۴- ۶۵)

۴.الإحتلال

إنّ إحتلال الأراضی بید المحتلین و فی رأسهم أمیرکا و بریطانیا لیس جدیداً خاصة فی العراق. إنّ *عدنان الصائغ* یشیر إلی المحتلین الذین لم یغصبوا وطننا الأم فحسب بل و إنما تعلو عماراتهم علی بقایا بنائنا التی قد هدمت فماذا نفعل بعد ذلک؟ هل نقوم ببیع السجائر؟:

تَعْلُو الْعِمَارَاتُ.. تَعْلُو.. و تَعْلُو...
لَا مُبَالِیَةً
فَوْقَ أنْقَاضِنَا

مَا الَّذِی نَفْعَلُ الْآنَ
أسْفَلَ جُدْرَانَهَا
هَلْ نَبِيعُ السَّجَائِرَ...

(الصائغ، ٢٠٠٤م: ١٩٢)

٥.التشرّد و النفی

من الجرائم التی ارتکبها النظام البعثی بحقّ الشعب العراقی هو تهجیرهم إلی الخارج، غیر أنّ بعض العراقیین منهم الشعراء و الأدباء غادروا الوطن و فضّلوا الفرار علی القرار، لما تجری فی العراق من المضایقات السیاسیة و الفکریة و ما إلی ذلک. و ظلّ الشاعر یعانی عذاب التشرّد فی أصقاع شتّی من هذا العالم. و لکثرة ما تذوق من مرارة التشرد و الابتعاد عن الوطن یسیر منحنیاً و کأنه کمن یحمل وطناً تحت إبطه:

لِکَثْرَةِ مَا جَابَ مَنَافِی الْعَالَمِ
کَانَ یَمُرُّ مُنْحَنِیاً کَمَنْ یَتَأَبَّطُ وَطَناً

(الصائغ، ٢٠٠٤م: ١٠٠)

٦.الإغتیال

یصور *عدنان الصائغ* تصاویر للإغتیال الذی لایزال قائماً فی المجتمع العراقی. فی أحد شوارع المدینة مساء، و المطر ینهمر فإذا برجل یتکوم أمام عیون الناس فجأة و یمرّ الآخرون دون أن یعبأوا بالرجل لما اعتادوه فی حیاتهم الیومیة:

ذَاتَ مَسَاءٍ
و بَیْنَمَا کَانَ الْمَطَرُ یَنْهَمِرُ
فِی شَوَارِعِ الْمَدِینَةِ
أخْرَجَنِی مِنْ دِفْءِ جَیْبِهِ

حَرَّكَنِی بِبُرُودِ أعْصَابٍ
و وَجَّهَنِی إلَی ظَهْرِ رَجُلٍ
كَانَ مُنْحَنِياً لِالْتِقَاطِ شَیْءٍ لَمْ أرَهُ
إذْ تَكَوَّمَ الرَّجُلُ فَوْقَهُ فَجْأةً
بَیْنَمَا اتَّسَعَتْ خُطُوَاتُ صَاحِبِی

(الصائغ، ۲۰۰۴م: ۴۵-۴۶)

۷.استغلال النّفط و استغفال النّاس

إن المستعمرين يحرصون على النفط فی العراق، و تمزيق العرب إلی دويلات بحيث يقول *تشرشل*: «لسوف أضع علی كلّ بئر نفط دولة عربية»(الصائغ، ۲۰۱۰م: ۱۴۳).

إنّ هذه الأرض مليئة بالدم و النفط غير أنّ الانتهازيين الغربيين يأخذونه، و يعطوننا قباله اللذات الخاسرة علی أسرّة القحاب. هذا ما يلاحظه قارئ هذه القصيدة من قصائد «أوراق من سيرة تأبّط منفی»:

هَذِهِ الْأَرْضُ
لَمْ تَعُدْ تَصْلَحُ لِشَیْءٍ
هَذِهِ الْأَرْضُ
كُلَّمَا طَفَحَتْ فِيهَا مَجَارِی الدَّمِ و النَّفْطِ
طَفَحَ الْانْتِهَازِيُّونَ
أرْضَنَا الَّتِی نَتَقَيَّأُهَا فِی الْحَانَاتِ
و نَتْرُكُهَا كَاللّذَاتِ الْخَاسِرَةِ
عَلَی أسِرَّةِ الْقِحَابِ

(الصائغ، ۲۰۰۴م: ۵۹)

۸.السَّجن

قد جاءت فی صحیفة «نبض الشباب» العراقیة فـی ۱۹۹۸/۴/۶ مقولـة وزیـر العمـل و الشؤون الاجتماعیة فی العراق: «أعداد السجناء فی العـراق تعـادل خمسـة أضـعاف طاقـة استیعاب السجون»(نُقل فی الصائغ، ۲۰۱۰م: ۴۵۱).

و قد یعذَّب السجناء بهجمیة النظام الطاغیة و یذکر الصائغ ما مرّ علیهم فـی السـجون فی قصیدته المعنونة بـ«تضیق البلاد» بأنه قد طرد وحیداً و مسافة کفّیه فی سلسلة بینما الحرس الواقفون یطفئوا سجائرهم:

و بَیْنَهُمَا أَنْتَ مُرْتَبِکٌ و وَحِید
بَیْنَ أَنْ تَبْتَدِیَ
فِی شَتَاتِ الْجُنُون
أَوْ تَنْتَهِیَ فِی سُبَاتِ السُّجُونْ
مَسَافَةُ کَفَّیْنِ فِی سِلْسِلَةْ
بَیْنَهُمَا یُطْفِئُ الْحُرْسُ الْوَاقِفُونَ سَجَائِرَهُمْ

(الصائغ، ۲۰۰۴م: ۱۳۱-۱۳۲)

۹.حکّام العرب

یقول *جبران خلیل جبران* فی «حدیقة النبی»: «ویل لأمة حکماؤها خـرس مـن وقـر السنین و رجالها الأشدّاء لا یزالون فی أقمطة السریر»(جبران، ۱۹۸۲م: ۳۵). یعتقد *عدنان الصائغ* أن مستقبل الناس فی راحات الحکام من دون أن یساهموا فی مصیرهم:

خُطُوطُ یَدِی امَّحَتْ مِنَ التَّشَبُّثِ بِالرِّیحِ و الْأَسْلَاکِ
و هَذِهِ الشُّرُوخِ الَّتِی تَرَیْنَهَا لَیْسَتْ سُطُوراً
بَلْ آثَارُ الْمَسَاطِرِ الَّتِی انْهَالَتْ عَلَی کَفِّی
و هَذِهِ النُّدُوبُ عَضَّاتُ أَصَابِعِی

مِنَ النَّدَمِ و الْغَضَبِ و الْارْتِجَافِ
فَلَا تَبْحَثِی عَنْ طَالِعِی فِی رَاحَتِی
ـ یَا سَیِّدَتِی الْعَرَّافَةَ ـ
مَادُمْتُ مَرْهُوناً بِهَذَا الشَّرْقِ
فَمُسْتَقْبَلِی فِی رَاحَاتِ الْحُكَّامِ

(الصائغ، ۲۰۰۴م: ۶۹ -۷۰)

یصور الصائغ مصیر الحکام فی قصیدة «رقعة وطن» الذی هو لیس إلا مصیر الشعب، و ما فعلوه بحقهم حیث یعبر عن أنّ الأمبراطور الذی اکتسب هذا المقام برؤوس الحراب، سقط علی النصال المدببة لتلک الرؤوس هکذا یعبر *عدنان الصائغ* عن مصیر الحکام بأنّهم أصیبوا بنفس ما فعله بحق الآخرین:

الْأَمْبِرَاطُورُ
الَّذِی بَنَی عَرْشَهُ عَلَی رُؤُوسِ الْحُرَابِ
مَاجَتْ بِثِقْلِهِ الْأَكُفُّ
فَسَقَطَ
عَلَی نِصَالِهَا الْمُدَبَّبَةِ

(الصائغ، ۲۰۰۴م: ۹۸)

۱۰.الحریة

یقول الفیلسوف الألمانی *کانت*: «التأریخ هو قصة الحریة»(الصائغ، ۲۰۱۰م: ۹). إنّ الفریسة فی قصیدة «سهم» ربما تکون ثمن الحریة، التی یجب لیُدفع إزاءها و الحریة لم تحصل إلا بعد أن یستشهد لها جماعة، و الموت هنا من أجل الحریة أی أن الموت قد أصبح ثمناً للحریة:

لَحْظَةَ الْانْعِتَاقِ الْخَاطِفَةِ

بِمَاذَا يُفَكِّرُ السَّهْمُ
بِالْفَرِيسَةِ
أمْ...
بِالْحُرِّيَّةِ

(الصائغ، ۲۰۰۴م: ۱۸ ـ ۱۹)

إنّ حرية التعبير مصطلح حديث يعنى حقّ الأفراد فى التعبير عن أفكارهم و مشاعرهم، دون مانع أو تقييد أو تدخّل من حاكم ما لم يخُن أو يؤذِ أو يسئ(التونجى، ۱۹۹۳م: ۳۶۲).

كأنه يشير إلى سياسة الرقابة التى تحارب الكتابة، و لا تبقى سوى البياض فيشكو منها فى قصيدته «بياض» حيث يقول:

الرَّقِيبُ الَّذِى فِى الْكِتَابْ
ظَلَّ يَلْتَهِمُ الْكَلِمَاتِ
السُّطُورَ
الْحُرُوفَ
الْفَوَارِزَ
حَتَّى تَكَرَّشَ مِنْ كَثْرَةِ الصَّفَحَاتِ
و غَابْ
إلَهِى.....
مَا الَّذِى سَوْفَ أفْعَلُهُ
بِبَيَاضٍ كَهَذَا
الْبَيَاضُ حِجَابْ

(الصائغ، ۲۰۰۴م: ۲۲ -۲۳)

۱۱.مکانة عالیة علی دماء مسکوبة

یتحدث *عدنان الصائغ* مخاطبا عمال الحکومة، و منهم *المدفعی* بأنه أصبح ذا مکانة عالیة: «کم من عیون فقأتَ و کم من جرائم فعلتَ بحق مواطنیک، کی تصل إلی هذا المقام و تتلألأ علی کتفیک هذه النجوم کلها، و یرید أن یقول لا ثمن لهذا المقام بما کسبه علی دماء الآخرین:

کَمْ عَیْناً فَقَأتَ
أیُّهَا الْمِدْفَعِیُّ
لِتَضِیءَ عَلَی کَتِفَیْکَ کُلُّ هَذِهِ النُّجُومِ

(الصائغ، ۲۰۰۴م: ۱۰۳)

۱۲.الجندی الثائر

إنّ عمّال الدیکتاتور لا یدرون أنّهم آلات فی یده، یجعلهم الحاکم البیادق فی حرب لا یدرون هل هی رقعة شطرنج أم وطن أم میدان لسباق المسافات البعیدة. غیر أنّ الجندی الثائر أعلن العصیان فقادوه إلی الخشبة، و أداروا نحوه الفوهات فیصرخ: «دعونی هذه عاقبتکم أیضاً فستصبحوا أکباشاً و تعلو فوق أشلائکم تیجان السلاطین: عوا و انتبهوا و اعتبروا»! هذه نبذة من قول الشاعر فی قصیدة «بیادق» حیث یقول:

بَیْدَقَنِی السُّلْطَانْ
جُنْدِیاً فِی حَرْبٍ لَا أفْقَهُهَا
لِأدَافِعَ عَنْ رُقْعَةِ شِطْرَنْجٍ ـ لَا أدْرِی ـ
أمْ وَطَنٍ أمْ حَلْبَةْ
و لِهَذَا أعْلَنْتُ الْعِصْیَانْ
لَکِنَّ الْجُنْدَ الْخِصْیَانْ
قَادُونِی مَعْصُوبَ الْعَیْنَیْنِ إلَی الْخَشَبَةْ

و أدَارُوا نَحْوِی فَوْهَاتِ بَنَادِقِهِمْ
فَصَرَخْتُ: قِفُوا
سَتُجَرُّونَ عَلَی هَذِی الرُّقْعَةِ
كَبْشاً كَبْشاً
كَیْ تَعْلُو ـ فَوْقَ سَلَالِمِ أشْلَائِكُمُ ـ التِّیجَانْ

(الصائغ، ٢٠٠٤م: ٤٣)

١٣.الإختناق

یتحدث الشاعر عن قضیة الإختناق فی المجتمع العراقی، التی سادت حیاة العراقیین فی داخل بیوتهم و خارجها فیتحدث فی إحدی «ثلاثة مقاطع للحیرة» عن توصیة أب لولده لکی لا یقصص رؤیاه علی أحد، خشیة أن لا تصل إلی السلطان و أن الشوارع ملیئة بالآذان و الجواسیس الحکومیة:

قَالَ أبِی:
لَا تَقْصُصْ رُؤْیَاكَ عَلَی أحَدٍ
فَالشَّارِعُ مَلْغُومٌ بِالْآذَانْ
كُلُّ أذُنٍ
یَرْبِطُهَا سِلْكٌ سِرِّیٌّ بِالْأخْرَی
حَتَّی تَصِلَ السُّلْطَانْ

(المصدر نفسه: ٩)

١٤.التحزّب

یقول *جبران خلیل جبران* فی کتابه «حدیقة النبی» و یرثی لأمة تفرّقت أحزابا: «ویل لأمة تکثر فیها المذاهب و الطوائف و تخلو من الدین. [...] ویل لأمة مقسمة إلی أجزاء و کلّ جزء یحسب نفسه أمة»(نُقل فی الصائغ، ٢٠١٠م: ٢٠٦). یصف الشاعر الناس فی

قصيدة «أحزاب» بأنّه كيف تفاقم بينهم الصراع و تفرّقوا أحزاباً لذريعة واهية كاللافتات و الشعارات، و هذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ عل جهلهم:

لَافِتَاتٌ تَتَقَدَّمُ
بِغَابَةٍ مِنَ الشِّعَارَاتِ
اخْتَلَفُوا
مَنْ يَتَقَدَّمُ الْأَوَّلَ؟
ثُمَّ تَشَابَكُوا بِالْأَيْدِي
ثُمَّ بِالْهِرَاوَاتِ
ثُمَّ..
سَقَطَتِ اللَافِتَاتُ
و لَمْ نَرَ نَحْنُ الْمُحْتَشِدِينَ عَلَى جَانِبَيِ الطَّرِيقِ
سِوَى غَابَةٍ مِنَ الْبَنَادِقِ
تَتَقَدَّمُ مُشْتَبِكَةً
بِاتِّجَاهِنَا...

(الصائغ، ٢٠٠٤م: ١٧)

١٥.الحكم على الظن

يشير الشاعر إلى ظاهرة سياسية أخرى، و هى أن الظلمة يملونه و يبوبونه و يفهرسونه و يطبعونه و يوزعونه ثم يشتمونه فى الجرائد، و هكذا يصدرون الحكم على الظواهر و الظنون من دون عناية إلى البواطن و الحقائق بحيث يشكو قائلاً: و أنا لم أفتح فمى بعد فى قصيدة «تأويل»:

يُمْلُونَنِي سُطُوراً
و يُبَوِّبُونَنِي فُصُولاً

ثُمَّ يُفَهْرِسُونَنِی
و يُطْبِعُونَنِی كَامِلاً
و يُوَزِّعُونَنِی عَلَی الْمَكْتَبَاتِ
و يَشْتُمُونَنِی فِی الْجَرَائِدِ
و أَنَا
لَمْ
أفْتَحْ
فَمِی
بَعْدُ

(المصدر نفسه: ۵)

۱۶.المقاومة

يهدی *عدنان الصائغ* قصيدة «لا» إلی *القاص حميد المختار* بعد أن أغتيل عنفاً بيد الديكتاتور، و قد مرّغوا بالتّراب فمه الذی اعتاد بقول «لا» و هو سمة من سمات مقاومته، بحيث يحرض لاؤه علی الانتفاض و أنّ طريقه قد امتدّ البلاد بحيث يسمع الأمبراطور أصدائا من اللاءات و هی تعبر نوافذ قصره:

فَمُهُ الَّذِی اعْتَادَ أنْ يَقُوَل لَا
مَرَّغُوهُ بِالتُّرَابِ
فَنَمَتْ أشْجَارٌ كَثِيرَةٌ عَلَی امْتِدَادِ الْبِلَادِ
يَسْمَعُ الْأمْبِرَاطُورُ حَفِيفَهَا و هِیَ تَعْبُرُ نَوَافِذَ قَصْرِهِ
أجْرَاساً مِنَ اللَّاءَاتِ

(المصدر نفسه: ۱۶)

النتیجة

بعد قراءة فی المجامیع الشعریة للشاعر العراقی *عدنان الصائغ* یمکن تلخیص النتائج التی وصلنا إلیها فیما یلی:

إنّ *عدنان الصائغ* یمکن اعتباره من شعراء المدرسة الواقعیة لأنه قد عالج المجتمع العراقی، و ما یجری فیه من المشاکل و الحروب و ما إلی ذلک. فکان هدفه الأساس هو المجتمع و کل ما یمت إلیه بصلة و نستطیع أن نقول إن أدبه مرآة قد انعکست فیها القضایا السیاسیة و الاجتماعیة.

قد تناول فی شعره کثیراً من القضایا السیاسیة و أهمها الحروب؛ التی تطرق إلیها و إلی تبعاتها أکثر من القضایا السیاسیة الأخری. فأکثر من ذکر الحروب التی مرت علی العراق داخلیة کانت أو خارجیة منذ عام ۱۹۵۸م إلی عام ۲۰۰۳م و هی الحرب الأمیرکیة العراقیة التی قد أشار إلیها الشاعر العراقی *عدنان الصائغ* فی کثیر من قصائده.

أما القضایا السیاسیة الأخری التی نراها فی شعره فهی الدیکتاتوریة و رعب الاستبداد و عدم الأمن و الاحتلال و التشرد و النفی و الحکام و ولاة الأمر و الاختناق و التحزب و الاغتیال و النفط و السجن وثورة الجندی و الحریة و التی من الممکن أن ندعی أنها قد شغلت حیزاً ملحوظاً من شعره بعد الحروب.

المصادر و المراجع

التونجی، محمد. ۱۹۹۳م. **المعجم المفصّل فی الأدب**. ج۱. بیروت: دار الکتب العلمیة.

جبران، جبران خلیل. ۱۹۸۲م. **حدیقة النبی**. دراسة و تحلیل نازک سابا یارد. بیروت: نوفل.

الجبوری، کامل سلمان. ۲۰۰۳م. **معجم الشعراء من العصر الجاهلی حتّی سنة ۲۰۰۲م**. ج ۳. بیروت: دار الکتب العلمیة.

رای، میلان. ۲۰۰۳م. **خطّة غزو العراق، مع فصل بقلم نعوم تشومسکی**. ترجمة حسن الحسن. بیروت: دار الکتاب العربی.

الروضان، عبد عون. ۲۰۰۵م. **الشعراء العرب فی القرن العشرین، حیاتهم شعرهم آثارهم**. المملکة الأردنیة الهاشمیة، عمان: الأهلیة.

رینولد، ترزا. ۱۳۸۹م. **قدرت نرم، سیاست خارجی آمریکا در جنگ علیه عراق طی سال‌های ۱۹۹۱ تا ۲۰۰۳**. با مقدمه اصغر افتخاری. ترجمه مجید رسولی. تهران: دانشگاه امام صادق(ع).

الصائغ، عدنان. ۲۰۰۴م. **الأعمال الشعریة**(تأبط منفی). بیروت: المؤسسة العربیة.

الصائغ، عدنان. ۲۰۰۴م. **الأعمال الشعریة**(تحت سماء غریبة). بیروت: المؤسسة العربیة.

الصائغ، عدنان. ۲۰۰۴م. **الأعمال الشعریة**(تکوینات). بیروت: المؤسسة العربیة.

الصائغ، عدنان. ۲۰۰۴م. **الأعمال الشعریة**(غیمة الصمغ). بیروت: المؤسسة العربیة.

الصائغ، عدنان. ۲۰۰۴م. **الأعمال الشعریة**(مرایا لشعرها الطویل). بیروت: المؤسسة العربیة.

الصائغ، عدنان.۲۰۱۰م. **القراءة و التوماهوک و المثقَّف و الاغتیال**. بیروت: المؤسسة العربیة.

هلال، هیثم. ۲۰۰۶م. **موسوعة الحروب**. بیروت: دار المعرفة.